الإسلام، ورعايته للطفولة *

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن اقتفى أثرهم، وسار على دربهم إلى يوم الدين، أما بعد:

يوافق يوم الثلاثاء القادم اليوم العالمي للطفل، والذي يأتي في العشرين من شهر نوفمبر في كل عام، ونحن في هذه المناسبة نبيِّن وجهة نظر الإسلام كي يكون المسلم على بيِّنة من أمور دينه،فمن نعم الله على الإنسان أن يكرمه الله بالذرية الصالحة، فالأبناء هبة من الله سبحانه وتعالى {**لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاء يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ* أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ**}(٢).

والنّاس من حيث الإنجاب أربعة أصناف:

١- صنف ينجب ذكوراً فقط: مثل سيدنا إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – والذي أنجب ذكوراً فقط، قال تعالى: {**الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ**}(٣)، "أي الحمد لله الذي رزقني على

(*) يوافق اليوم العالمي للطفل العشرين من شهر نوفمبر من كل عام.

(٢) سورة الشورى ، الآيتان (٤٩-٥٠)

(٣) سورة إبراهيم ، الآية (٣٩)

كبر سني وشيخوختي إسماعيل وإسحاق، قال ابن عباس: ولد له إسماعيل وهو ابن تسع وتسعين، وولد له إسحاق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة"[١].

٢- صنف ينجب إناثا فقط: مثل سيدنا لوط – عليه الصّلاة والسلام – الذي أنجب بنات فقط.

٣- صنف ينجب ذكوراً وإناثاً: مثل سيدنا محمّد – صلّى الله عليه وسلم – حيث رُزق- عليه الصلاة والسلام – بثلاثة أبناء من الذكور وهم: القاسم، وعبد الله، وإبراهيم، كما رزق بأربع بنات وهن: زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة.

٤- صنف لا ينجب لا ذكوراً ولا إناثاً (لا إنجاب): مثل سيِّدنا يحيى -عليه الصلاة والسلام-، قال تعالى: **{فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ}**[٢]، **{وَحَصُورًا}** "أي يحبس نفسه عن الشهوات عفة وزهداً ولا يقرب النساء مع قدرته على ذلك"[٣].

لذلك يجب على الإنسان أن يحمد الله على كل حال، فمن رزق بالأبناء فذلك نعمة، ومن رزق بالبنات فذلك نعمة أيضاً، فقد بدأت الآية السابقة بالإناث **{يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا}**، وهذا ردٌ على بعض الجهّال من العرب الذين كانوا يتذمرون عندما يرزقون بالإناث بل وصل الأمر بهم، إلى أبعد من ذلك بوأد بناتهم، وهذا ما ظهر جلياً في هجر رجل لزوجته عندما رزق بأنثى، مع أنَّ البنات قد جعلهنَّ الله حجاباً من النار إن شاء الله، فقد ورد أنَّ أبا حمزة كان متزوجاً بزوجتين

---

(١) صفوة التفاسير ١٠٠/٢

(٢) سورة آل عمران ، الآية (٣٩)

(٣) صفوة التفاسير ١٩٩/١

الأولى تنجب البنين، والثانية تنجب البنات، فهجر أبو حمزة أم البنات، وذهب عند أم البنين، وكانت أم البنات عاقلة فأخذت تنشد قائلة:

ما لأبي حمزة لا يأتينا ... يظلُّ في البيت الذي يلينا

غضبان ألا نلد البنينا ... تالله ما ذلك في أيدينا

فنحن كالأرض لزارعينا ... ننبت ما قد زرعوه فينا

وإنما نأخذ ما أعطينا

فلما سمع أبو حمزة ذلك رجع عن خطئه، وعدل بين زوجاته، وحمد الله أن رزقه بالبنين والبنات.

والذي لا ينجب أبداً فليحمد الله، فلو علمتم الغيب لاخترتم الواقع، وما قصة العبد الصالح مع سيدنا موسى عليه الصّلاة والسّلام عنا ببعيد، حيث قتل العبد الصالح الغلام كما ورد ذلك في قوله تعالى في سورة الكهف: {**وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ**}[1] (أي وأما الغلام الذي قتلتُه فكان كافراً فاجراً وكان أبواه مؤمنين، وفي الحديث "إن الغلام الذي قتله الخضر طُبع كافراً ، ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً"[2]، فعلى المؤمن أن يحمد الله على كل حال.

لقد عني الإسلام عناية كبيرة بالأبناء بصفة عامة من المهد إلى اللحد ، كما عني بمرحلة الطفولة بصفة خاصة ، ومن أجل ذلك فقد حرّم الإسلام الزّنا لأنّ فيه ضياعاً للنسل وخلطاً للأنساب، كما واعتبره فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً، وأوجد البديل ألا وهو الزواج، فحفظ النسل أمر ضروري حيث اتفقت الديانات السماوية على وجوب صيانة الأركان الضرورية للحياة البشرية واحترامها،

---

(١) سورة الكهف ، الآية (٨٠)

(٢) صفوة التفاسير ٢٠١/٢

وهي: الدين و النفس و العقل و النسل والمال، فقد ذكر الإمام الغزالي في كتابه "المستصفى" أنَّ حرمة الضرورات الخمس لم تبح في ملة قط، أي أنَّ الديانات السماوية قد أوجبت حرمة هذه الضرورات، وقال بذلك الإمام أبو إسحق الشاطبي في كتابه "الموافقات في أصول الشريعة".

وقد بيَّن الإسلام بأنَّ للطفل حقوقاً عديدة منها:

***مرحلة ما قبل الميلاد:-**

لقد أرشد الإسلام المسلم إلى اختيار الزوجة الصالحة، فقال -عليه الصّلاة السّلام-: (تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك)(١)، وقال أيضاً: "الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة"(٢).

ولضمان نقاء معدن ثمرة الزواج قال عليه السلام: (تخيَّروا لنطفكم فإنَّ العرق دساس)(٣).

والأمُّ الصالحة حقٌّ للابن على أبيه، فقد أجاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه سؤالاً لأحد الأبناء لمّا سأله ما حقُّ الولد على أبيه بقوله: "أن ينتقي أمه، ويحسن اسمه، ويعلِّمه القرآن".

*** مرحلة ما بعد الميلاد:-**

ويكون ذلك في خطوات كثيرة أهمها ما يلي .

أ- الأذان: وذلك بأن يكون الأذان في أذنه اليمنى والإقامة في أذنه اليسرى وذلك حين الولادة مباشرة، كما جاء في حديث أبي رافع، قال: (رأيت رسول الله

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب النكاح ١٣٢/٩

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الرضاع١٠٩/٢

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب النكاح ٦٣٣/١

صلى الله عليه وسلم أذّن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة)[1] كي تكون أول كلمات تصل إلى مسامعه هي كلمة التوحيد.

ب- العقيقة: وهي الذبيحة التي تذبح احتفالاً بالمولود ذكراً كان أو أنثى، فقد جاء في الحديث الشريف أنَّ الرسول -عليه الصلاة و السلام- قال: (كلُّ غلام مرتهن بعقيقته، تذبح عنه يوم سابعه، ويحلق رأسه، ويسمى)[2].

جـ- تسمية المولود: فقد حثَّ الرسول الكريم على اختيار الأسماء الطيبة، فقال -عليه الصلاة والسلام-: (أحبُّ الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن)[3]، وفي حديث آخر: (أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام)[4].

د- حثُّ الأبناء على الطَّاعة ومكارم الأخلاق: فقد ورد أنَّ النّبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (أدِّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حبَّ نبيّكم، وحبَّ آل بيته، وتلاوة القرآن، فإنَّ حملة القرآن في ظلِّ عرش الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه)[5]، وقال أيضاً: (مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع)[6].

هـ- العدل بين الأولاد: فقد أعلن الرّسول الكريم - صلى الله عليه وسلم- ذلك بوضوح، فقال: (اتّقوا الله واعدلوا بين أولادكم)[7]، فالعدل بين الأبناء حافز

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأدب ٣٢٨/٤

(٢) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الأضاحي ١٠١/٤

(٣) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأدب ٢٨٧/٤

(٤) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأدب ٢٨٨/٤

(٥) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١٤/١

(٦) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الصلاة ١٣٣/١

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الهبات ١٢٤٣/٣ ؟؟

تعليمي ناجح، مشهود النتائج في حياة النّاس، وحصن منيع للأسرة من أسباب الصراع والعداء.

و- إبعاد الأولاد عن رفقاء السوء: قد طالب الإسلام الآباء بأن يختاروا لهم الرفقة الصالحة، وأن يحذروهم من رفقاء السوء، فقال تعالى: **{الأَخِلاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلا الْمُتَّقِينَ}**(١)، كل ذلك لأنَّ الصديق مرآة صديقه، فقد جاء في الحديث الشريف: (المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)(٢).

وهناك حقوق أخرى مثل حق الرضاعة، والنفقة والحضانة...وغير ذلك.

رحمته – صلّى الله عليه وسلم – بالأطفال

وقد ضرب – صلّى الله عليه وسلم – أروع الأمثلة في رحمته وشفقته على الأطفال، كيف لا؟! وهم ثمرة الفؤاد، ومهج القلوب حيث جاء في الحديث: (بينما كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يصلي بالناس إذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد، فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه حدث أمر، فلما قضى صلاته، قالوا: قد أطلت السجود يا رسول الله حتى ظننا أنّه قد حدث أمر، فقال – صلى الله عليه وسلم –: "إنَّ ابني قد ارتحلني – أي جعلني كالراحلة فركب على ظهري – فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته")(٣).

هذا هو ديننا الإسلامي الحنيف يعطف على الأطفال، ويوصي بهم خيراً، فهم عماد الأمة، وثروتها الحقيقية، بينما نرى ما يفعله المحتلون بالأطفال في

---

(١) سورة الزخرف ، الآية (٦٧)

(٢) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الزهد ٥٨٩/٤

(٣) أخرجه النسائي في سننه في كتاب التطبيق ٢٣٠/٢

فلسطين والعراق وغيرهما من قتل، وتشريد، وتنكيل، وتيتيم لهم، وتدمير لبيوتهم، وتجريف لمزارعهم، ومنعهم من الحصول على العلاج والدواء، وغير ذلك، فمتى يشعر أطفال فلسطين بالحرية كباقي أطفال العالم؟!!

وصلّى الله على محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين

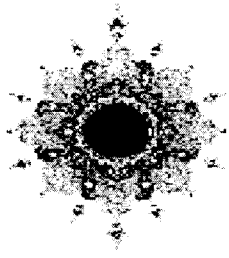

إنَّ هـذا الديـن يسـر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن اقتفى أثرهم، وسار على دربهم إلى يوم الدين، أما بعد:

ذكرت كتب السيرة أنَّ الرَّسول – صلّى الله عليه وسلم – أرسل أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل– رضي الله عنهما – إلى اليمن – في مثل هذا الشهر – شهر ذي القعدة – من السنة العاشرة للهجرة، ووصَّاهما قائلا: (يسِّرا ولا تعسِّرا، وبشِّرا ولا تنفِّرا، وتطاوعا) (١).

ومن فضل الله على عباده أنَّ الإسلام قد انتشر انتشارا سريعاً، وأقبلت الوفود تسعى إلى رسول الله – صلّى الله عليه وسلم – لإعلان إسلامها، كما قام – صلى الله عليه وسلم– ببعث رسله لتعليم الناس مبادئ الإسلام وأحكامه، وكان – صلى الله عليه وسلم – يختار الدعاة من أصحابه ليعلِّموا النَّاس مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، وهنا نرى أنّه – صلّى الله عليه وسلم – قد اختار الصحابيين الجليلين أبا موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل – رضي الله عنهما – لهذه المهمَّة الجليلة.

أمّا أبو موسى الأشعري – رضي الله عنه – فهو عبد الله بن قيس، وهو من قبيلة الأشعريين الذين أثنى عليهم النّبي – صلّى الله عليه وسلم –، وقد كان

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب ٥٢٤/١٠

- رضي الله عنه - حسن الصوت بالقرآن، سمعه النّبي - صلّى الله عليه وسلم- ذات ليلة، وهو يقرأ، فقال له: (لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود).

وأما معاذ بن جبل - رضي الله عنه - فهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار، وهو الذي قال عنه رسول الله - صلّى الله عليه وسلم -: (أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل)- رضي الله عنه-.

وقد روى أنس بن مالك - رضي الله عنه - صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخادمه، أنّه أمر الأمّة كلَّها بما أمر به معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري - رضي الله عنهما - فقال: (يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا)[1].

إنَّ مهمة هذين الصحابيين - رضي الله عنهما - هي تعليم الناس أمور دينهم، وترغيبهم في هذا الدّين الذي جاء رحمة للعالمين، حيث إنّنا نتعلم من توجيه الرسول - صلى الله عليه وسلم - لهما، الآداب التي يجب أن يتحلى بها الداعي إلى الله تعالى أثناء ما يقوم به من توجيه وتعليم، فمن ذلك أن يغلب جانب التيسير على التشديد والتضييق، وأن يعتمد على التبشير أكثر من الإنذار أو التهديد، وهو ما سمّاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالتنفير، فالسماحة واليسر هما طابع الدين الإسلامي، وميزته الكبرى، التي مهَّدت السبيل أمام دعوته، فأخذت طريقها إلى قلوب الناس وعقولهم، والتكاليف الشرعية سهلة مرنة، لا حرج فيها ولا عنت ، فهي منوطة بقدرة المكلّف واستطاعته، يقول الله تعالى: {**لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا**}[2]، ويقول أيضاً: {**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم باب ما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يتخولنا بالموعظة ١٦٣/١

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٨٦)

فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ }[1]، واليسر والرفق والسماحة من هدي النبي – صلى الله عليه وسلم – ومن ذلك قوله – صلى الله عليه وسلم–: (إن الدين يسر، ولن يُشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه ، فسددوا، وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغَدْوَةِ والرَّوْحَةِ وشيءٍ من الدُّلْجَة)[2].

ونبيّنا محمّد – صلى الله عليه وسلم – الذي أرسله ربُّه ليرفع راية العبادة وليبني على الأرض منارة السنة والفرض، نراه يسوق الناس إلى عبادة ربهم، سوقاً لطيفاً رفيقاً، حيث كان – صلى الله عليه وسلم – يختار الأيسر ، كما ذكرت أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها –: (ما خُيِّر النّبي – صلى الله عليه وسلم– بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه)[3].

ومن خلال دراستنا لسنَّة الرسول – صلى الله عليه وسلم – فإنّنا نتعلّم دروساً كثيرة، منها حكمته – صلى الله عليه وسلم – في التربية بالرفق واللين وعدم مقابلة المخالفة بالعقاب لمن كان مبتدئاً في حجر التربية، كما أنه – صلى الله عليه وسلم – يعلّمنا كيف نعالج ونصلح ونغيِّر عن طريق الموعظة والرفق واليسر.

قصة الأعرابي الذي بال في المسجد

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنّه قال: (بال أعرابي في المسجد، فقام النّاس إليه ليقعوا فيه، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –:" دعوه وأريقوا على

---

(١) سورة الحج ، الآية (٧٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان ٩٣/١ رقم الحديث ٣٩.

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ في كتاب حسن الخلق ٩٠٣/٢.

بوله سجْلاً من ماء أو ذنوباً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين")[1].

(هذا أعرابي يدخل مسجد الرسول – صلى الله عليه وسلم – فيتنحى طائفة منه ويتبول، فهو لا يدري حرمة المساجد التي أمر الله أن تعظّم وتطهّر، عندئذ قام الصحابة – رضوان الله عليهم – يسرعون نحوه يريدون ضربه وتأديبه، فيقول – صلى الله عليه وسلم – " دعوه، لا تزرموه، اتركوه")[2]، أي لا تقطعوا عليه بوله، ثم أمر – صلى الله عليه وسلم – بذنوب من ماء، فطهر به مكان البول، ثم قام – صلى الله عليه وسلم – باستدعاء الرجل، وقال له: "إن هذه المساجد لا يصلح شيء منها للأذى والقذر، إنما هي للصلاة وذكر الله والتسبيح والتكبير والتهليل".

ثم قام الرجل وتوضأ وأتى ليصلي، وفي التحيات قال في التشهد الأخير: اللهم ارحمني ومحمّداً ولا ترحم معنا أحداً، وذلك لما رأى منه – صلى الله عليه وسلم – من لطف في المعاملة.

فالتفت إليه – صلى الله عليه وسلم –، وقال: "من الذي دعا آنفاً؟" وهو يعرف – صلى الله عليه وسلم– أنه الأعرابي، فقال الأعرابي: أنا، وما أردت إلا الخير، فقال – صلى الله عليه وسلم –: "لقد حجرت واسعاً"[3]، يعني: ضيقت رحمة الله، التي وسعت كل شيء، {**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**}[4]، فعاد إلى

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الوضوء ٣٢٣/١

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الطهارة ٢٣٦/١

(٣) أخرجه البخاري في صحيهه في كتاب الأدب ٤٣٨/١٠

(٤) سورة الأعراف ، الآية (١٥٦)

قومه فأخبرهم بأخلاق الرَسول – صلى الله عليه وسلم – فدخلوا في دين الله أفواجاً.

هذا هو اللين والرحمة في دعوته – صلى الله عليه وسلم – وكذا دعوة كل نبي، فقد أرسل الله موسى وهارون – عليهما الصلاة والسلام – إلى فرعون، فقال لهما: {**فَقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**}(١)، ولو أنَّ المسلمين تمسَّكوا بهذا الخلق الرفيع – من الرفق في الدعوة، وحسن النّصح والإرشاد – لعاشوا سعداء.

ويكشف الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن عظمة الإسلام، فيصفه بأنه دين متين، يحمل في ذاته، عناصر الخلود والبقاء، ويوصي أتباعه بأن يوغلوا في هذا الدين برفق، فذلك أعون على استقامة النهج، وبلوغ الغاية، فيقول – صلى الله عليه وسلم –: (إنَّ هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، فإنذَ المنبت لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى) (٢).

إنَّ الواجب على الداعية أن يخلص لرسالته التي يؤديها فتكون شغله الشاغل، وعليه أن يعامل النّاس بقلب مفتوح، فلا يكون أنانياً ولا حاقداً، لا تحركه النزوات العابرة، ولا ينحصر داخل تفكيره الخاص، فهو يخاطب الآخرين وينبغي أن يلتمس الأعذار للمخطئين، وألا يتربص بهم بل يأخذ بأيديهم إذا تعثروا، للحديث: "حببوا الله إلى عباده"، وقوله أيضاً: (يسِّروا ولا تعسِّروا، و بشِّروا ولا تنفِّروا)(٣).

---

(١) سورة طه ، الآية (٤٤)

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ١٩٩/٣

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم باب ما كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يتخولنا بالموعظة ١٦٣/١

إنَّ للكلمة الطيبة أثراً كبيراً، وللدعوة الصادقة استجابة طيبة، فقد دعا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قومه إلى دين الله، لكنّهم واجهوه بالعقبات، وقالوا: "إنّه ساحر ومجنون وكذّاب ... إلخ من الأقوال الخبيثة.

وذهب – صلى الله عليه وسلم – إلى الطائف لعله يجد الأنيس والنصير، فسبوه وشتموه ورجموه، فجاءه الملك يعرض عليه أن يطبق عليهم الأخشبين، فقال عليه الصلاة و السلام: "اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون، لعلَّ الله يخرج من أصلابهم من يوحد الله"، لم يشتمهم ولم يلعنهم، بل دعا الله أن يهديهم، وفعلا استجاب الله دعاءه، وخرج من صلب أبي جهل – عدو الله اللدود – الصحابي الجليل عكرمة، وخرج من صلب أميّة بن خلف – الكافر – الصحابي الجليل صفوان، وخرج من صلب الوليد بن المغيرة – الكافر – سيف الله المسلول خالد،– رضي الله عن صحابة رسول الله أجمعين–.

أسأل الله أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون رصيدا أخرويا ينفعنا، يوم لا ينفع مال ولا بنون، وأن نجعل قول الله قدوتنا، **{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}**[1].

وصلّى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم

---

(١) سورة يوسف، الآية (١٠٨)

فضل الصَّحابة الكرام - رضي الله عنهم أجمعين -

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن اقتفى أثرهم، وسار على دربهم إلى يوم الدين، أما بعد:

لقد تربّى حول الرسول – صلى الله عليه وسلم– وفي مدرسته رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، نفّذوا أوامره، وامتثلوا لتعاليمه، والتزموا بتوجيهاته، هؤلاء هم الصحابة الكرام – رضوان الله عليهم أجمعين – الذين أنجزوا في بضع سنين ما يعجز عن تحقيقه أفذاذ الرجال في مئات السنين، وللصَّحابة الكرام – رضوان الله عليهم – منزلتهم الكريمة، فقد زكّاهم الله في كتابه الكريم، كما زكّاهم النّبي – صلى الله عليه وسلم – في سنته المطهرة، كما وزكّتهم أعمالهم الجليلة في حملهم للكتاب والسُّنَّة، فقد حملوا لنا هذا الدين، كي تسير الأمة على هدي كتاب الله وسنَّة رسوله – صلى الله عليه وسلم –، وللصحابة الكرام فضل علينا – نحن المسلمين – وعلى الإنسانية جمعاء ، حيث إنَّ الإسلام نهض على أيديهم، وتحت قيادته – صلى الله عليه وسلم–، حين قدّموا إيمانهم وولاءهم لله وللرّسول على كل ما عداه، وحين باعوا أنفسهم لله، فاحتملوا الإيذاء والاضطهاد وصبروا صبراً جميلاً.

هؤلاء هم صحابة رسول الله – رضوان الله عليهم – الذين نحبُّهم ونجلُّهم، ونحترمهم ونقدُّرهم، الذين أشاد الله بهم في قرآنه، وأثنى عليهم في كتابه،

ومدحهم في تنزيله، والذين نهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن الإساءة إليهم، وحذّر من التعرُّض لهم بسوء.

وقد ذكر الإمام القرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرآن أنّ الصحابيَّ الجليل عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: "من كان منكم متأسيا فليتأسَّ بأصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فإنهم كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلَّها تكلفا، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، اختارهم الله لصحبة نبيِّه – صلى الله عليه وسلم – وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، كما وبيَّن – صلى الله عليه وسلم – فضل الكثير منهم، فقال : (أرحم أمتي أبو بكر ، وأشدها في دين الله عمر ، وأشدها حياء عثمان ، وأعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وأقرؤها لكتاب الله أُبَيّ، وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت، ولكلِّ أمة أمين و أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح)[١].

وقد أثنى القرآن الكريم على الصحابة – رضوان الله عليهم – وأشاد بهم، وذكر مواقفهم المشرِّفة في نصرة الدين الإسلامي الحنيف، فهذه النخبة الكريمة نالت شرف إشادة الله سبحانه وتعالى بهم في مواضع كثيرة من كتاب الله الكريم منها: قوله تعالى: **{لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا}**[٢].

قال ابن كثير– رحمه الله – في "تفسير القرآن العظيم": (فعلم ما في قلوبهم : أي: من الصدق والوفاء والسمع والطاعة)[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب المناقب٥/٦٦٤

(٢) سورة الفتح، الآية (١٨)

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٢٤٤

كما جاءت الآيات بذكر لأسباب التي استحقوا بها هذه المكانة العالية ، كما ورد في قوله تعالى: {**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا .....**} الآية[١].

وقوله تعالى: {**لَقَد تَّابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**}[٢].

وقوله تعالى: {**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا**}[٣].

وقد وعد الله المهاجرين والأنصار بالجنات والنعيم المقيم، وأحلَّ عليهم رضوانه في آيات تتلى إلى يوم القيامة، كما ورد في قوله تعالى: {**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** }[٤].

وقوله تعالى: {**لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ* وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي**

---

(١) سورة الفتح، الآية (٢٩)

(٢) سورة التوبة، الآية (١١٧)

(٣) سورة الأحزاب، الآية (٣٢)

(٤) سورة التوبة، الآية (١٠٠)

صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[1].

كما و شهد لهم بالفضل رسولنا محمّد – صلى الله عليه وسلم – حيث كان – عليه الصلاة والسلام – شاهداً عليهم في حياته، يرى تضحياتهم، ويقف على صدق عزائمهم، كما جاء في الحديث الشريف أن النبي– صلى الله عليه وسلم – قال: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)[2]، وإنّما صار أوّل هذه الأمة خير القرون؛ لأنهم آمنوا به حين كفر الناس، وصدقوه حين كذبه الناس، ونصروه، وآووه، وواسوه بأموالهم وأنفسهم.

وقد نهى الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن النّيل من الصحابة الكرام – رضوان الله عليهم –، لما يعلم من صدقهم وإخلاصهم، كما بيَّن عليه الصلاة والسلام أن فضلهم لا يعادله فضل أحد من النّاس، بما قدموا وبذلوا من أنفسهم وأموالهم، فقد جاء في الحديث أن رسول الله– صلى الله عليه وسلم – قال:(لا تسبوا أصحابي، فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه)[3].

كما بيّن عليه الصلاة والسلام أنَّ الواجب على المسلمين حب الصحابة الكرام، وأن نعرف لهم سابقتهم وفضلهم، فمن أبغض الصحابة الكرام أو أساء إليهم فقد خالف توجيه الرسول الكريم بالنّهي عن ذلك، لما ورد أنَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:(الله الله في أصحابي، الله الله في أصحابي،لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبَّهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي

---

(١) سورة الحشر، الآيتان (٨-٩)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – ٣/٧ حديث رقم٣٦٥١

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة ١٩٦٧/٤

أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه)[١].

كما ورد في فضلهم، وعظيم شأنهم ما روي عن أبي موسى – رضي الله عنه – قال: (صلينا المغرب مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثم قلنا نجلس حتى نصلي العشاء، فخرج علينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: ما زلتم ههنا، قلنا: نعم يا رسول الله، قلنا نجلس حتى نصلي العشاء، قال: أحسنتم أو أصبتم، ثم رفع رأسه إلى السماء، وكان كثيراً ما يفعله فقال: النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذ ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون)[٢].

كما وورد أنّه – صلى الله عليه وسلم – قال: (عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضُّوا عليها بالنواجذ، وإيّاكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كل بدعة ضلالة)[٣].

وقد أخرج الإمام أحمد أنَّ ابن مسعود – رضي الله عنه – قال: "إنَّ الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمّد –صلى الله عليه وسلم– خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمّد، فوجد قلوبَ أصحابهِ خيرَ قلوبِ العبادِ فجعلهم وزراءَ نبيِّهِ يُقاتِلون على دينه".

ومما يؤسف له أن بعض الناس يتطاولون في هذه الأيام على الصحابة الكرام ويقولون: إنّهم رجال ونحن رجال، نقول لهم: الحديد معدن، والذهب

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب المناقب ٥/٦٩٦

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة ٤/١٩٦١

(٣) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب السنة٤/٢٠١

معدن، وشتان ما بين الذهب والحديد، فعلينا أن نعرف للصحابة الكرام فضلهم، كما قال الطحاوي – رحمه الله تعالى –: ونحبُّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم و لا نُفرِّط في حبِّ أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الحق يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان".

وفي نهاية المقال، نردِّد قول الله تعالى **{وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}** (١)، اللهم ارض عن أصحاب نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – أجمعين، واحشرنا وإيّاهم في زمرة سيِّد المرسلين، واسقنا وإياهم من حوض نبيِّك الكريم شربة ماء لا نظمأ بعدها أبدا يا ربَّ العالمين.

وصلّى الله وسلم على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

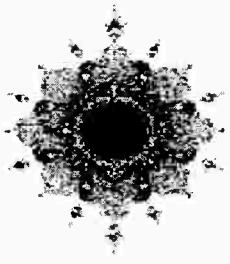

(١) سورة الحشر، الآية (١٠)